قضايا وآراء

أخبار الخليج

العدد (17715) - السنة الحادية والخمسون - الأربعاء 12 ربيع الآخر 1448هـ - 23 سبتمبر 2026م

لماذا يغيب الحسم في الصراع الأمريكي الإيراني؟

بقلم:

د. حسن نافعة ○

تخوض إيران، منذ ما يقرب من 15 شهرا، حربا غير متماثلة مع الولايات المتحدة الأمريكية. ونظراً إلى اختلال الموازين بين ما تملكه الولايات المتحدة وما تملكه إيران من عناصر القوة الشاملة، والتي تميل بشكل حاسم لصالح الأولى، يعتقد كثيرون أن نتائج هذه المواجهة محسومة سلفاً، وبالتالي فليس أمام إيران سوى الرضوخ في النهاية للمطالب الأمريكية.

إذ يكفي إجراء مقارنة سريعة بين ميزانية النفقات العسكرية الأمريكية للعام الحالي (2026)، التي تبلغ حوالي 900 مليار دولار، بمثيلاتها الإيرانية، التي تقلّ عن 10 مليارات دولار، كي يتّضح حجم الهوّة التي تفصل بينهما. غير أنه يتعيّن الانتباه إلى أن الصراعات التي تنشب بين الدول لا تتوقف فحسب على حجم ما تملكه الأطراف المنخرطة فيها من عناصر القوة بأنواعها المختلفة، الخشنة والناعمة والذكية، وإنما أيضاً على عوامل أخرى عديدة، مرئية وغير مرئية، ما يفسّر صمود إيران في هذه الحرب غير المتكافئة، والتي قد تنتهي بنتائج لا تتسق مع فجوة القوة.

تدّعي الولايات المتحدة أن صراعها مع إيران يعود إلى إصرار الأخيرة على تصنيع السلاح النووي، وهو ذريعة غير صحيحة لأسباب عدة، أهمها:

1 – إن برنامج إيران النووي بدأ في عهد الشاه، وبمساعدة الولايات المتحدة الأمريكية.

2 – إن هذا البرنامج أُهمل تماماً خلال السنوات العشر التي أعقبت الثورة، ولم يبدأ النظام الحالي التفكير في إعادة إحيائه إلا بعد انتهاء الحرب مع العراق.

3 – إن الصراع بين إيران والولايات المتحدة بدأ عقب اندلاع الثورة الإسلامية مباشرة، ولأسباب تتعلق بخشية قادتها من أن تحاول الولايات المتحدة إجهاضها بالطريقة التي أجهضت بها ثورة مصدّق التي اندلعت في بداية النصف الثاني من القرن الماضي.

يكشف الفحص المدقق للمسار الذي سلكته العلاقات الإيرانية الأمريكية منذ اندلاع الثورة الإيرانية، بوضوح، أن الولايات المتحدة لم تشعر بالارتياح لا تجاه نظام الحكم الذي أفرزته هذه الثورة، ولا تجاه السياسات التي انتهجها على الصعيدين الداخلي والخارجي، ما يفسّر سعيها الدائم لإضعاف النظام الإيراني أو إجباره على تغيير سياساته، وربما لإسقاطه والتخلص منه نهائياً، كما يفسّر في الوقت نفسه لماذا تبنّى هذا النظام استراتيجية دفاعية تستهدف ترسيخ القواعد الشعبية التي يستند إليها في الداخل وتوسيع نفوذه في الخارج، ما يعني أن كلا الطرفين، الأمريكي والإيراني، أدركا فور نجاح الثورة الإيرانية أن الصراع بينهما بات حتمياً، وبالتالي لم يعد أمامهما سوى إدارته بالطريقة التي يرى كل منهما أنها مناسبة لتحقيق الأهداف التي يسعى إليها. عوامل كثيرة، محلية وإقليمية ودولية، ساعدت على تصاعد الصراع تدريجياً إلى أن وصل إلى مرحلة الصدام المسلح والمواجهة الشاملة.

فبعد أيام قليلة من نجاح الثورة الإسلامية في إيران، وبسبب خوف النظام الإيراني الجديد من إقدام أجهزة الأمن الأمريكية على التآمر لإعادة الشاه الهارب إلى سدة الحكم، اجتاح الطلاب مقر السفارة الأمريكية في طهران واحتجزوا العاملين فيها رهائن مدة 444 يوماً.

ولأن الرئيس كارتر حاول استعادتهم بالقوة وفشل، ما تسبب في هزيمته في الانتخابات الرئاسية التالية، تبنت الإدارات الأمريكية اللاحقة استراتيجية لإدارة الصراع مع إيران تقوم على ركيزتين: تجنب الوصول إلى حالة تستدعي الصدام المباشر معها، والزج بالحلفاء الإقليميين للقيام بأداء بعض الأدوار نيابة عنها، ما يفسّر الدور الذي لعبته لاستدراج العراق لشنّ الحرب على إيران بعد عام واحد من اندلاع الثورة، والحرص على إبقاء جذوة الحرب مشتعلة لأطول فترة ممكنة، أملا في إضعافهما معاً.

يلفت الانتباه، في هذا السياق، أن إيران لجأت في إدارتها للصراع مع الولايات المتحدة إلى أسلوب لا يختلف كثيراً عن الأسلوب الأمريكي، سواء من حيث الحرص على تجنب الصدام المباشر بينهما، أم إشراك الوكلاء الإقليميين فيه، ما يفسر نشاطها المكثف في البحث عن حلفاء في العالم العربي، خصوصاً في سوريا ولبنان والعراق، والسعي إلى تمتين أواصر العلاقة معهم على الدوام، ما أدى إلى تشكيل ما أطلق عليه «محور المقاومة» الذي تولّت إيران قيادته بنفسها، مستفيدة من أحداث كبرى هزّت العالم العربي، أهمها: إقدام صدام حسين على غزو واحتلال وضمّ الكويت عام 1990، ، حيث أدت التفاعلات الناجمة عنه إلى تهيئة الأجواء لانعقاد مؤتمر مدريد للسلام، والتوقيع على اتفاقيتي «أوسلو» و «وادي عربة».

لذا ظهر العالم العربي وكأنه على وشك الانقسام إلى معسكرين متصارعين، أحدهما يضم أنظمة رسمية تسعى إلى التحالف مع الولايات المتحدة، والآخر يضم فاعلين من غير الدول يطالبون بالتصدي لمشاريع الهيمنة الصهيو–أمريكية على المنطقة، وفي ظل هذا الاستقطاب، انفجر «طوفان الأقصى» الذي كان بمنزلة نقطة تحول في المنطقة، قلبت الحسابات كافة رأساً على عقب.

كان بمقدور الاستراتيجية الرامية إلى تجنب الدخول في صدام عسكري مباشر بين أمريكا وإيران أن تصمد وتستمر، لولا توافر عاملين رئيسيين، الأول: ظهور ترامب على الساحة السياسية الأمريكية، والثاني: حرص نتنياهو على استغلال ما جرى في «طوفان الأقصى» لتصفية «محور المقاومة» تمهيداً لإقامة «إسرائيل الكبرى».

فخلال فترة ولاية ترامب الأولى، نجح نتنياهو في إقناعه بالانسحاب من اتفاق 2015 وفرض عقوبات قصوى على إيران. وخلال فترة ولايته الثانية، والتي بدأت بعد 15 شهراً من «طوفان الأقصى»، نجح نتنياهو في إقناعه بالمشاركة مع «إسرائيل» في شن حربين على إيران، استهدفت الأولى تدمير برنامجها النووي (حرب الـ11 يوماً)، بينما استهدفت الثانية إسقاط نظامها السياسي وربما تفتيت الدولة الإيرانية ذاتها (حرب الـ 39 يوماً). ولأن الرياح لم تأتِ بما تشتهي سفنهما، فقد دخل كل من ترامب ونتنياهو في مأزق قد لا يستطيع أي منهما أن يفلت منه حاليا.

يلفت النظر هنا أن «إسرائيل»، المحرّض الرئيسي على المواجهة العسكرية مع إيران، استُبعدت من المشاركة في إدارة الصراع في مرحلة تطوره الراهنة، لا في شقه العسكري فحسب، حيث حُرمت من المشاركة في أي من جولات القتال التي اندلعت بعد «حرب الـ 39 يوماً»، وإنما في شقه السياسي أيضاً، حيث استُبعدت من المشاركة في المفاوضات التي أفضت إلى التوقيع على «مذكرة التفاهم»، بل ولم يجر أي تشاور أو تنسيق مسبق معها. غير أن ذلك لا يعني أنها ستُحرم من المشاركة في جولات مقبلة قد يضطر ترامب للمقامرة بخوضها، كما لا يعني أن «إسرائيل» فقدت تأثيرها في المسار التفاوضي، فالأرجح أنها ستُدعى للمشاركة في القتال إذا وصلت المفاوضات إلى طريق مسدود، وربما تكون قد لعبت بالفعل دوراً رئيسياً في إفشال «مذكرة التفاهم» التي لم تتردد في الاعتراض عليها علناً.

أما نتنياهو فقد صرّح مؤخراً بأن الحرب على إيران لم تُحسم بعد، وأن «إسرائيل» قادرة على خوضها منفردة واستئناف القتال إذا تطلّب الأمر، وأن إسقاط النظام الإيراني ما زال في متناول اليد وستواصل «إسرائيل» سعيها لتحقيق هذا الهدف. غير أن ميادين القتال على مختلف الجبهات تكذب هذه التصريحات التي تبدو مصممة لأغراض انتخابية.

حين أحكمت الولايات المتحدة حصارها البحري وأصرّت على خنق إيران اقتصادياً، بفرض أقسى أنواع العقوبات على كل من يتعامل معها تجارياً أو مالياً، ردّت إيران، ولأول مرة منذ اندلاع الحرب، باستهداف الحاملات والمدمّرات والقطع البحرية الأميركية، في مؤشر على الصراع العسكري بين الطرفين قد يتجدد في أي لحظة وتدخل المنطقة مرحلة جديدة من التصعيد .

○ أستاذ العلوم السياسية في جامعة القاهرة

المملكة العربية السعودية..
وطن يجعل من أصالته قوة للمستقبل

بقلم:

نجاة بنت علي شويطر

إن الأوطان العظيمة ليست بما تشيده من مدن ومشروعات فحسب، وإنما بما تحمله من تاريخ، وما تختزنه من قيم، وما تملكه من قدرة على تحويل طموحات أبنائها إلى واقع ومستقبل. ومن هنا يأتي شعار اليوم الوطني السعودي السادس والتسعين »عزّنا بطبعنا« ليحمل معنى التعبير عن هوية وطن يعتز بجذوره، ويواصل بناء مستقبله بثقة وطموح، وليجسد طباع السعوديين الأصيلة.

تستعيد المملكة العربية السعودية في الثالث والعشرين من سبتمبر ذكرى توحيدها على يد الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراه، وهي تستحضر مسيرة وطن انتقل عبر عقود من مراحل التأسيس والبناء إلى مشروع طموح يرسم ملامح المستقبل، وحضور إقليمي ودولي متنام.

ولعل أجمل ما في شعار »عزّنا بطبعنا« أنه يضع الإنسان السعودي وقيمه في قلب المناسبة، فالكرم والشجاعة والشهامة والوفاء ليست مجرد صفات تذكر في المناسبات، وإنما هي قيم راسخة في المجتمع السعودي، شكلت هويته وبقيت حاضرة وهو يفتح أبواباً جديدة نحو المستقبل.

هنا تكمن خصوصية التجربة السعودية الحديثة، حيث تمضي المملكة نحو المستقبل وهي تحمل معها تراثها وقيمها وثقافتها، لتثبت أن الأصالة والتطور ليسا طريقين متعارضين بل إن أحدهما سند للآخر.

ومن هنا جاءت رؤية السعودية 2030 لتشكل مرحلة مفصلية في مسيرة المملكة، عبر صياغة كثير من الطموحات الاقتصادية والتنموية والاجتماعية، وتنويع مصادر الاقتصاد، وتعزيز جودة الحياة، وتطوير السياحة، وتمكين الطاقات الوطنية، والاستثمار في الإنسان.

ومع دخول الرؤية مرحلتها الثالثة والأخيرة (2026_2030) لم تعد القضية اعلان أهداف جديدة، بل أصبحت الأولوية تعظيم أثر ما تحقق، وترسيخ المكتسبات، ومواصلة العمل نحو المستقبل ليكون أكثر تنوعاً واستدامة.

وهذا أعمق معنى للإنجاز أن يتحول الطموح إلى عمل، والعمل إلى أثر، والأثر الى فرصة للأجيال القادمة.

ولذلك فإن أجمل ما يمكن أن نراه في السعودية اليوم ليس ما تغير في المدن أو اتسع في القطاعات، وإنما ما تغير في سقف الطموح نفسه، أصبح شباب وشابات يشاركون في مجالات جديدة، ومواهب تجد مساحات أوسع، وقطاعات تتطور، واقتصادا يفتح أبوابا جديدة، ومجتمعا ينظر إلى المستقبل بثقة أكبر.

وفي ظل هذه التطورات يبقى الإنسان السعودي هو الرهان الأكبر، فالمشروعات مهما بلغت ضخامتها لا يمكنها أن تصنع وطناً وحدها، الإنسان هو من يصنع الوطن بعلمه وقدرته وطموحه وإيمانه بدوره في صناعة مستقبل بلاده.

إن الاحتفال باليوم الوطني السعودي السادس والتسعين ليس فقط بما تحقق، بل بما ينتظر أن يتحقق فالدول التي تصنع تاريخها لا تتوقف عند إنجاز، والأمم التي تؤمن بمستقبلها لا تجعل من النجاح محطة أخيرة، وإنما بداية لطموح جديد.

»عزّنا بطبعنا« عبارة تختصر حكاية وطن يعرف من أين بدأ، ويعرف إلى أين يريد أن يصل، وطن يجعل من أصالته مصدر قوة، ومن شبابه طاقة، ومن طموحة مشروعاً، ومن مستقبله مسؤولية.

ومن البحرين لا يمكن أن نمر على اليوم الوطني السعودي مروراً عابراً، فالسعودية بالنسبة إلينا ليست دولة شقيقة تربطنا بها حدود ومصالح مشتركة فقط، وإنما هي امتداد عميق في الوجدان البحريني، وما يجمع الشعبين من محبة وتاريخ ومواقف مشتركة يجعل الأفراح الوطنية السعودية قريبة من قلوب البحرينيين.

إن العلاقة بين البحرين والسعودية أكبر من أن تختصرها الكلمات، لأنها علاقة أخوة متجذرة، تؤكدها المواقف، ويجسدها التواصل المستمر بين القيادتين والشعبين، وتدعمها روابط تاريخية واقتصادية وثقافية واجتماعية راسخة.

ومن البحرين إلى المملكة العربية السعودية، نرفع أصدق التهاني وأجمل الأمنيات إلى خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود، وإلى ولي عهده سمو الأمير محمد بن سلمان وإلى الشعب السعودي الوفي سائلين الله أن يديم على المملكة أمنها واستقرارها وازدهارها، وأن يواصل شعبها مسيرة البناء والإنجاز.

كل عام والمملكة العربية السعودية بخير، وكل عام وهي تمضي بثبات من مجد الى مجد ومن إنجاز الى إنجاز.

nshowaite98@gmail.com

الانتخابات النصفية للكونجرس وتأثيراتها في الحرب الإيرانية

بقلم:

د. نبيل العسومي

تشكل الانتخابات الأمريكية النصفية محطة مهمة وضاغطة بل وقد تكون حاسمة بالنسبة إلى الرئيس دونالد ترامب وبالنسبة إلى توجهات الحرب والمواجهة مع إيران فهي من نتائجها قد تكون التأثير الأكبر في إدارة الرئيس ترامب حيث تملي عليه حسابات دقيقة قد تقيد خياراته العسكرية والاقتصادية في مواجهة إيران.

إن تأثير هذه الانتخابات المرتقبة في شهر نوفمبر القادم على القرار الأمريكي سيؤدي في حال ترجيح كفة الحزب الجمهوري بقيادة الرئيس ترامب إلى تعزيز موقفه في هذه المواجهة العسكرية والاقتصادية وفي حال رجحت كفة الديمقراطيين المعارضين للحرب وسياسات ترامب الاقتصادية والعسكرية فإن ذلك سيفرض المزيد من القيود على إدارة الرئيس ترامب ويجعل الموقف الإيراني أقوى مما هو عليه الآن.

إن الانتخابات النصفية تعتبر اختبارا شعبيا مهما لسياسة البيت الأبيض مما يجعل أي تصعيد عسكري مفتوحا وأي تصاعد لأزمة الطاقة مرتبطة بإيران وأي مخاطر سياسية قد تضر بحظوظ الحزب الجمهوري في الانتخابات الرئاسية وقد تفضي إلى تراجع خيارات التصعيد العسكري الذي تعتمده الإدارة الأمريكية حاليا في ظل الضغوط الاقتصادية الداخلية وحاجة الإدارة إلى تسويات أو حلول أو نتائج سريعة كإنجاز انتخابي بديلا عن استمرار في حروب مكلفة فالحصار اليومي الحالي كما نشر في الصحافة الأمريكية يكلف الميزانية الأمريكية 32 مليون دولار يوميا وهو مبلغ كبير يضغط على هذه الإدارة ومستقبلها السياسي.

ومن هنا فإن الجانب الإيراني يدرك جيدا هذه الحقيقة ولذلك يماطل في إنهاء هذه الحرب بالطرق السلمية وتعمد التوقف عن أي مفاوضات جديدة وعدم تنفيذ بنود الاتفاقيات السابقة وذلك بقصد الضغط على الإدارة الأمريكية الحالية وجعل حظوظها متدنية لتخسر الانتخابات النصفية القادمة وبذلك يكون الجانب الإيراني طرفا أساسيا في التأثير في هذه الانتخابات.

في المقابل يحاول الرئيس ترامب خلال هذه الفترة من الآن إلى شهر نوفمبر أن يتحاشى فتح جبهات عسكرية أو شن المزيد من الضربات المكثفة على إيران والحفاظ على وتيرة منخفضة من هذه المواجهة العسكرية حيث تقتصر على ما يمكن وصفه بالمناوشات وليس بالمواجهات ومن ناحية ثانية يتجنب الرئيس الأمريكي حاليا أي مواجهات اقتصادية او مالية مع الصين خاصة في انتظار اللقاء القادم مع الرئيس الصيني مفضلا التسويات التي توقف المواجهات الاقتصادية والتجارية الجديدة بعكس ما كان يفضل في السابق الصدام المباشر مع الصين حليفة طهران قد يؤدي إلى مزيد من إضعاف الموقف الأمريكي كما إنه لا يريد أن تتسبب هذه المواجهة إلى هزات اقتصادية ومالية مضاعفة تؤثر في الناخب الأمريكي قبل الانتخابات النصفية.

إن طهران تراهن على ضغوط الانتخابات النصفية واستنزاف الإدارة الأمريكية وابتزازها وذلك لتخفيف العقوبات عليها وتحسين شروط أي تفاوض في المستقبل.

وبالإضافة إلى ما تقدم سواء بالنسبة إلى الإدارة الأمريكية الحالية أو بالنسبة إلى طهران هناك طرف ثالث في هذه المعادلة وهي دول الخليج العربية المتضرر الأكبر من هذه المواجهة وحساباتها وتكتيكاتها فهي تشعر بحالة من القلق والتوتر المستمر بسبب هذا الوضع المتفاقم والغموض في مستقبل هذه المواجهة وخاصة وإن نتائج هذا الوضع إلى الآن يؤثر بشكل رئيسي في دولنا اقتصاديا وماليا وأمنيا وذلك بالرغم من تأكيدات الرئيس الأمريكي في تصريحاته الأخيرة بأن الحرب في طريقها إلى الانتهاء قريبا حتى قبل الانتخابات النصفية لأن الإيرانيين كما قال يريدون إبرام اتفاق ولكن التجربة التي عشناها خلال الأشهر الأخيرة الماضية لا نثق كثيرا في مثل هذه التطمينات مثل الحديث المتكرر عن الانتصار العسكري في الحرب وعن تدمير كل القدرات النووية الإيرانية وعن تدمير اقتصادها وأسطولها البحري وصواريخها البالستية ولم يبق منها إلا القليل .

ذلك لأن هذه السردية التي تتحدث عن الانتصار لا تبدو مقنعة إلى الآن وإن كانت صحيحة جزئيا ولذلك نعتبر تصريحات الرئيس ترامب ذات طابع انتخابي بالدرجة الأولى فهو يحاول تقليل خسارة الجمهوريين المتوقعة في الانتخابات القادمة والحد من استياء الرأي العام الأمريكي ضد هذه الحرب ونتائجها الاقتصادية والاجتماعية على الناخب الأمريكي خاصة في ظل الارتفاع الكبير في أسعار الخدمات وارتفاع نسبة التضخم بشكل غير مسبوق إضافة إلى تعثر صادرات النفط وتأثيرها في العالم.

إن هذه الانتخابات ستكون بالضرورة محطة مفصلية مهمة بالنسبة إلى المواجهة والحرب في المنطقة وأخشى ما أخشاه أن تسهم نتائجها في إطالة هذه المواجهة وبالتالي إطالة الأزمة الاقتصادية والمالية التي تضرب المنطقة ولم يكن بوسعنا تحمل ثمارها المرة طويلا.

أثر التحالف بين الولايات المتحدة وإسرائيل على الشرق الأوسط

بقلم: د. رضا بنهام ○

ظلت الولايات المتحدة الأمريكية على مدى عقود تغدق على حليفتها إسرائيل بمليارات الدولارات في شكل مساعدات وتجهيزات عسكرية حتى تجعل منها درعا منيعا وذراعا طويلة في تنامي نفوذ القوى الصاعدة. والإمبراطوريات الحديثة.

لقد حافظت واشنطن، على مدى عقود، على موقف الدفاع المطلق؛ إذ دأبت على تزويد إسرائيل بأسلحة متطورة، وتوفير الحصانة الدبلوماسية لها، وتبرير ممارسات تصفها منظمات حقوق الإنسان والمحاكم الدولية بأنها جرائم حرب، وفصل عنصري، وإبادة جماعية.

ولطالما صاغ الخطاب السائد –بإصرار– صورة التحالف الأمريكي الإسرائيلي من منظور مريح يرتكز على القيم الديمقراطية المشتركة والدفاع المتبادل، غير أن هذا التصور ينهار تماماً أمام وطأة الواقع، إذ لم يثنِ واشنطن شيءٌ عن تحالفها مع إسرائيل ورضوخها لها، لا سياسات النظام العنصرية، ولا حتى أعمال الإبادة الجماعية الشنيعة.

لقد دعمت كل إدارة أمريكية الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة نظراً لدورها في تعزيز النفوذ والمصالح الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط، لكن هذا التحالف المصيري أصبح اليوم يثير تساؤلاً جوهرياً: ما دور إسرائيل بالضبط، ومصالح من تخدمه؟

لطالما عملت إسرائيل كوكيل إمبريالي للقوى الغربية الساعية إلى الهيمنة الإقليمية. فقد لعبت الإمبراطورية البريطانية، في البداية، دوراً حاسماً في مساعدة وكلائها الصهاينة على ترسيخ موطئ قدم لهم في فلسطين خلال الحرب العالمية الأولى وما تلاها.

وفي منتصف القرن العشرين، انتزعت الولايات المتحدة الأمريكية زمام المبادرة الجيوسياسية من بريطانيا، وبسطت سيطرتها على المنطقة الغنية بالموارد، لتصبح بذلك الداعم الرئيسي لإسرائيل.

ومنذ خمسينيات القرن الماضي، دأبت واشنطن على النظر إلى الشرق الأوسط –باعتباره ملتقىً حيوياً لممرات الطاقة العالمية وممرات التجارة ومصدراً للنفوذ الجيوسياسي– من منظور الهيمنة والسيطرة على الموارد.

في ظل غياب ممتلكات استعمارية دائمة لها في قلب العالم الإسلامي، وجدت سلطات واشنطن في إسرائيل بديلاً يتمثل في قاعدة عسكرية متطورة تقنياً ومحصنة وتحظى بدعم مالي هائل.

وبالنسبة إلى البنتاغون ووزارة الخارجية الأمريكية، فقد أدت إسرائيل دور «حاملة طائرات لا تغرق»؛ إذ شكلت معقلاً عسكرياً لاستعراض القوة، وقمع الحركات المستقلة المناهضة للاستعمار، والعمل كثقل موازن للنفوذ الإقليمي الإيراني.

وتتعزز الشراكة بين واشنطن وتل أبيب بفضل الاقتصاد العسكري–الصناعي الأمريكي، الذي يزدهر بفضل الصراعات المستمرة التي تحفز الطلب.

يُعَد الإنفاق الدفاعي محركاً للاقتصاد المحلي؛ إذ تُعد المليارات المخصصة للمساعدات العسكرية لإسرائيل –من الناحية العملية– بمثابة دعم مالي هائل يُدفع مباشرةً إلى كبرى شركات الدفاع الأمريكية، مثل «لوكهيد مارتن» و«بوينغ» و«رايثيون» و«نورثروب غرومان». وقد ساهمت الحروب الأمريكية–الإسرائيلية في منطقة الشرق الأوسط مساهمةً جوهرية في ضمان البقاء المالي لهذه الصناعات.

ولطالما كانت غزة والضفة الغربية المحتلتان بمثابة مختبرات لاختبار الأسلحة المتطورة وتقنيات المراقبة وأنظمة السيطرة على الحشود، إذ يجري تسويق أنظمة المراقبة والأسلحة –التي خضعت للاختبار الميداني على سكان مدنيين محاصرين– عالمياً لاحقاً بوصفها أنظمة «أثبتت كفاءتها القتالية».

وتربط هذه الشبكة الدفاعية، التي تبلغ قيمتها مليارات الدولارات، بشكل وثيق بين مصالح قطاع الدفاع الأمريكي واستمرار العمليات العسكرية الإسرائيلية؛ كما تضمن هذه الشبكة وجود معارضة شديدة –من الحزبين الرئيسيين في واشنطن– لأي حظر فعلي للأسلحة أو تغييرات جوهرية في السياسات، نظراً لأن كل دائرة انتخابية في البلاد تقريباً ترتبط بطريقة أو بأخرى بالصناعات العسكرية.

يدافع السياسيون الأمريكيون بشراسة عن «الاستثنائية» الإسرائيلية ويحصّنونها بقوة ضد أي مساءلة، إذ تضمن شبكات قوية –تضم جماعات ضغط ممولة بسخاء ولجان عمل سياسي وجهات مؤسسية تتحكم في مسارات النفوذ– أن يظل الدعم الراسخ لإسرائيل شرطاً للبقاء السياسي في واشنطن.

وعندما يبدي المسؤولون المنتخبون اعتراضاً على مواقف السياسة الخارجية السائدة أو يدينون قتل المدنيين، فإنهم يصبحون هدفاً لحملات منظمة وممولة بسخاء تهدف إلى القضاء على مسيرتهم السياسية.

ونتيجة لذلك، تُهمَّش الأولويات المحلية الأمريكية نفسها، حيث ينحاز الكونغرس إلى جماعة ضغط عسكرية نافذة بدلاً من الانحياز للجمهور الأمريكي، الذي تعارض أغلبية متزايدة منه تقديم مساعدات عسكرية خارجية غير مشروطة.

تتأصل العلاقة بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية في جوهرها في وعي تاريخي وإرث مشترك. فقد نشأ كلا البلدين كدولتين قائمتين على الاستعمار الاستيطاني الذي ارتكز على المحو الممنهج للسكان الأصليين، وحصرهم في مناطق معينة، وتجريدهم من ممتلكاتهم وحقوقهم.

وتجد الاتهامات الموجهة لإسرائيل –بممارسة الفصل العنصري، وارتكاب أعمال إبادة جماعية، وتكريس العنصرية الممنهجة– صدىً واسعاً في المشهد السياسي الأمريكي، إذ تعكس تلك الاتهامات الإرث التأسيسي للولايات المتحدة الأمريكية ذاتها.

يربط صناع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية بين التفوق الإقليمي لإسرائيل والحفاظ على النفوذ الغربي والهيمنة العالمية بشكل مباشر. إن العنصرية ليست خطأً عارضاً في هذا التحالف، بل هي ركيزة أساسية فيه؛ فهي تضمن النظر إلى الضحايا من غير الغربيين وغير البيض باعتبارهم أفرادا يمكن الاستغناء عنهم، أو بعبارة أخرى، «أضراراً جانبية» مقبولة في سياق السعي إلى تحقيق أهداف جيوسياسية.

إن اصطفاف الولايات المتحدة الأمريكية الدائم إلى جانب إسرائيل نابع من جدوى استراتيجية، وليس من عمىً أخلاقي. ويكشف دفاع واشنطن المستميت عن سياسات تل أبيب الوحشية زيف الخطاب الغربي المتعلق بحقوق الإنسان والقانون الدولي والديمقراطية. فعندما تتعرض القوة والمصالح الغربية وأرباح الشركات الكبرى ومصالحها الضخمة والهيمنة الجيوسياسية للتهديد، يتم التعامل مع حقوق الإنسان العالمية باعتبارها أمراً يمكن التخلي عنه تماما.

إن سردية «الحليف الذي لا غنى عنه» تتداعى، شأنها في ذلك شأن الهيمنة الإمبراطورية الأمريكية. فقد أثارت حرب الإبادة الجماعية التي تشنها إسرائيل –بدعم مالي أمريكي– والحروب المدمرة التي تخوضها في الشرق الأوسط، موجة عارمة من الغضب العالمي وردود فعل عكسية شديدة، مما ينذر ببداية أفول الهيمنة الأمريكية على العالم.

وسيُسجّل التاريخ أن القوى الكبرى، حين تعتمد على أداة الحرب الفجة «الإدارة» عالم معقد –بدلاً من العيش فيه كطرف مساو لغيره– فإنها تقوّض في نهاية المطاف ذلك الاستقرار الذي تزعم حمايته.

○ محلل سياسي مقيم بالولايات المتحدة